

وساوس جديدة بالاهتمام

الكاتب



عبد اللطيف الزبيدي

هل صار دماغك يلفّ ويدور كالخدروف حيرةً في كنه عمالقة «جافام»، جوجل، أبل، فيسبوك، أمازون، مايكروسوفت؟ الاقتصاد ومذاهبه ونظرياته وتحليلاته لا تجدي نفعاً في محاولة فهم الظاهرة التعمليّة. وسائط الإعلام العربية، يبدو أن بينها وبين القضايا المهمّة جفاءً قديماً، وثمة من يرى أنها تحبّ أن تكون الأبواب موصدةً دون عزف الرياح، فالفضائيات تحديداً لا يخطر ببالها أن تدعو ثلاثة أو أربعة من أساتذة الاقتصاد السياسي، إلى الاستوديو في ندوة تطرح فيها أسئلة براغيثها ناخزة واخزة. مثلاً: هل العالم يشهد نشوء أشكال جديدة من الرأسمالية المتغوّلة؟ كل واحدة من تلك الشركات الخمس قيمتها قرابة تريليون دولار. على المرء في أنظمة التنميات المتعثرة أن ينطق الرقم بطريقة مخففة: مليون مليون، أو ألف مليار، والأفضل مثل القدامى: «ألف ألف ألف ألف»، حتى لا يصاب المخ بالارتجاج. هذا الرقم اثنا عشري الأصفار يعادل الناتج القومي الإجمالي لهولندا، التي تحتل المرتبة السابعة عشرة في قائمة أغنى الدول. الخمس معاً يعادل رقمها الناتج القومي الإجمالي لليابان أو ألمانيا.

من المنطقي السؤال: إلى أين الرأسمالية؟ ماذا لو انفلتت تلك المؤسسات العملاقة من عقالها الذي يربطها ولو بمقدار شعرة بالإمبراطورية؟ عملياً، وحتى ولو نظرياً، لم يعد لها حبل سُري يشدها إلى أمّها الإمبراطورية. ماذا لو تصرّفت على هواها مطلقاً العنان لنفسها في مقدّرات دول العالم التي لا نيوب لها؟ مايكروسوفت يعمل بنظام تشغيلها «ويندوز» أكثر من 88% من حواسيب العالم. العنوا إبليس، لكن اسمحوا له بوسوسة صغيرة: ماذا لو أغلقت مايكروسوفت النوافذ قائلةً لكم: اصنعوا شبائكم بأيدي نجاريكم؟

سخرية الاقتصاديين لاذعة لاسعة. يقولون في شأن فيسبوك التي لا تأخذ فلساً من المستخدمين: «إذا كانت الخدمة مجاناً، فمعنى ذلك أنك أنت السلعة». هم يعرفون كل شيء عن ذوقك ميولك، مأكلك، مشربك، ملبسك، هداياك، هواياتك، قراءاتك، مشاريع أبحاثك وديكورك وعطلاتك، كل صغيرة وكبيرة ويبيعونها للشركات التي تغرقك بالإعلانات، وفي تلك الموسوعة سيول من السيولة. أيّ اقتصاد في العالم بل في التاريخ انطلق من الصفر وبلغت أرقامه التريليون دولار في

أقل من عقدين؟ ما أكثر الذين يربهم اليوم مستقبل الذكاء الاصطناعي ومدى سيطرته على شرايين حياة البشر. فكيف لا تتراءى لهم أشباحه مضروبةً في ألف إذا صارت تلك الشركات الأخطبوطية هي الممسكة بمقاليد مرده الآلات الذكية؟ لزوم ما يلزم: النتيجة التصعيدية: ثمّة شركات أخرى تتعاضم على الطريق، فماذا لو فكرت معاً في تأسيس إمبراطورية «أوف شور» متحررة من القوانين والأعراف والالتزامات الدولية؟

abuzzabaed@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024